اتجاهات العراقيين
نحو مفهوم العلمانية

أ.د. محمود شمال حسن (*)

مستخلص البحث :

استهدف البحث الحالي، الكشف عن طبيعة اتجاهات العراقيين نحو مفهوم العلمانية، كما استهدف البحث الحالي، الكشف عن الفروق في هذه الاتجاهات، تبعاً لمتغيرات الجنس والفئة العمرية والمستوى الاجتماعي - الاقتصادي.

سُحبت عينة البحث الحالي بالطريقة العشوائية البسيطة، اذ بلغت (٨٠٠) فرداً، ومن كلا الجنسين، تراوحت اعمارهم بين (١٥ - ٧٠) سنة، وبمتوسط بلغ (٣٥,٥٩) سنة. وقد اظهرت النتائج، ان الاتجاهات المتكونة نحو مفهوم العلمانية، تتصف بالسلبية، كما اظهرت النتائج، ان افراد المستوى الاجتماعي - الاقتصادي العالي يحملون اتجاهات اشد سلبية من اقرانهم في المستويات الاجتماعية - الاقتصادية الاخرى. كذلك، اظهرت النتائج، ان متغيري الجنس والفئة العمرية، لم يكن لهما تأثير واضح في الاتجاهات المتكونة نحو مفهوم العلمانية.

الكلمات المفتاحية: الاتجاهات، العلمانية، الجنس، الفئة العمرية، المستوى الاجتماعي - الاقتصادي.

مقدمة:

لقد حظي مفهوم العلمانية باهتمام النخبة المثقفة؛ ويرجع سبب الاهتمام الى انها اكثر من غيرها معرفة بالمعاني التي يشير اليها المفهوم، اذ انها تدرك تماماً، ان اشاعته بين الفئات الاجتماعية على اختلاف انواعها، سيفضي الى تشكيل مجتمع مدني، تحترم فيه حرية التعبير، وانهاء ظاهرة التمييز الاثني بين الافراد، سواء على مستوى القومية، او الطائفة، او الديانة، وضمان حقوق الافراد على المستوى السياسي، فضلاً عن هذا وذاك، سيتولى المجتمع المدني في حال تشكيله، التصدي للقهر والاستبداد الذي تحاول الاحزاب السياسية، سواء كانت دينية، او علمانية، فرضه بالقوة على المجتمع. كما يرجع سبب الاهتمام بمفهوم العلمانية، ان بعض افراد المجتمع العراقي، اخذ يدرك ضرورة ان تشيع ثقافة تُعنى بحقوق الانسان، وبطبيعة الحال، ان اشاعة هذه الثقافة، يعتمد بالدرجة الاساس على ذيوع ونشر الفكر العلماني في عموم المجتمع. كذلك يرجع سبب الاهتمام بهذا المفهوم، ان نسبة من افراد المجتمع، وان كانت قليلة، ادركت بما لا يدع مجالاً للشك، ان الموجة الدينية التي

(*) كلية الآداب – الجامعة المستنصرية
Mahmood2000@uomustansiriyah.edu.iq

اجتاحت المجتمع بعد عام ٢٠٠٣، ادت ولا ريب الى خفض مستوى الاهتمام بالفن والى عزوف الفنانين عن ممارسة الفن في اجواء، كثرت فيها المحرمات، بل ان الكثير منهم هجر فنه، او هاجر الى بلاد اخرى، باحثاً عن ملاذ آمن. وكانت النتيجة المترتبة على ذلك كله: ان المجتمع فقد الكثير من ملاكاته الفنية التي يصعب عليه تعويضها، ولا سيما، ان الاجواء السائدة غير مشجعة على تنمية ملاكات فنية وطنية .

ومن الاسباب التي استثارت اهتمام بعض افراد المجتمع العراقي، ان العشيرة، او القبيلة، اخذت تطرح نفسها بديلاً عن القانون فيما يتصل بتسوية النزاعات بين الافراد، على ان خفض الاهتمام بمفهوم العلمانية، وتحريم استعماله، افضى ولا ريب الى تقوية النفوذ العشائري، او القبلي على حساب القانون، مما أثر سلباً على امن المجتمع واستقراره بالمحصلة النهائية.

ومن هنا تأتي اهمية الدراسة الحالية، في انها محاولة للتثبت من حقيقة الاتجاهات السائدة نحو مفهوم العلمانية، فضلاً عن معرفة المتغيرات التي تسهم في تشكيلها .

اولا: الخلفية النظرية للاتجاهات نحو مفهوم العلمانية

مفهوم العلمانية :

قبل الخوض في تعريف مصطلح العلمانية secularism لابد من الاشارة الى الخلاف الحاصل في تلفظ المصطلح، فتارة يلفظ بكسر العين (عِلمانية) ويشير الى معنى العلمي(سروش، ٢٠٠٩، ص٦٥) اي التركيز على دور العقل في تفسير الظواهر، او الاحداث، وذلك باتباع قواعد المنهج العلمي المتعارف عليها. وتارة اخرى يلفظ المصطلح بفتح العين (عَلمانية) للاشارة الى (العالم) المحيط بنا(سروش، ٢٠٠٩، ص٦٥) وتحديداً العالم الارضي، او ما يصطلح عليه بالدنيا التي نعيش فيها، على ان التركيز عادة ما يكون على العالم الارضي حصراً، دون التفكير بعالم الغيب، او حياة ما بعد الموت. وبذلك، فان العلمانية، سواء بكسر العين، او بفتحها، تشير الى العالم المحيط بنا، الذي ينحصر بعالم الارض، بعيداً عن عالم الغيب، وانها تركز على دور العقل في تفسير الظواهر، او الاحداث التي يتعرض لها الافراد، وارجاعها الى مسبباتها العلية؛ وذلك باتباع قواعد المنهج العلمي .هذا فيما يتعلق بتلفظ المصطلح، اما المفهوم الذي تشير اليه العلمانية، فقد تعددت الآراء في تحديد ماهيته، اذ يشير احد الآراء الى ان العلمانية تعني ((الاهتمام بشؤون هذا العالم الزمني المتميز من العالم الروحي))(بركات، ٢٠٠٠، ص٥٠٣) ورأي ثانٍ يرى انها ((سلسلة العمليات التي ينحسر فيها دور الدين في جميع مجالات الحياة الاجتماعية))(غدنز، ٢٠٠٥، ص٥٨٦) كذلك يشير رأي ثالث الى ان العلمانية تعني الابتعاد عن المقدس، او تقليل اثره في الحياة والتركيز على العلم في فهم الظواهر الحادثة في العالم المحيط بنا(Macionis, ١٩٩٣, p.٤٨٩; Schaefer and Lamm, ١٩٩٥, p.٣٩٣; Stark, ٢٠٠١, p.٤١١) ورأي رابع يرى، ان العلمانية تعني فصل السلطتين الدينية والمدنية(العظمة، ١٩٩٨، ص١٧) ورأي خامس، يرى في العلمانية، انها ((الايمان بامكانية اصلاح حال الانسان عن طريق الطرق المادية دون التصدي لقضية الايمان سواء بالقبول او الرفض)) ويرى رأي سادس، انها ((ايديولوجيا تشجع المدنية والمواطنة وترفض الدين [بوصفه مرجعاً رئيساً] للحياة السياسية)) (حسيبة، ٢٠٠٩، ص٣٤٥-٣٤٦) من ذلك يتضح، ان العلمانية، اتجاه سياسي يميل الى الاهتمام

بالشـؤون الدنيوية، اكثر من اهتمامه بالشـؤون الدينيـة، كما يدعو هذا الاتجـاه الى فصل الدين عن السياسة، بمعنى: ان يكون رجل الدين بمنأى عن السياسة، وان لا يتدخل فيها، وان يترك امرها للمعنيين بشـؤونها .وان يتفرغ للعبادة وارشاد الافراد فيما يخص شـؤونهم الدينية، والعلمانية بدعوتها هذه، لا تعني الالحاد، او انكار الدين، او الدعوة الى التخلي عن الايمان، وانما تعني هذه الدعوة، ان الفرد له كامل الحرية في الاعتقاد، وليس هناك من قيود، او شروط تحدد مسألة اعتقاده .

الاسباب التي ادت الى نشوء مفهوم العلمانية :

تشير الكتابات، ان ثمة اسباباً متعددة، ادت الى نشـوء مفهوم العلمانية، وهو ناجم عن تراكم تاريخي ثقافي، ولمتابعة هذه الاسـباب، آثرنا ان نستعرضها على النحو الآتي :

١- لقد ظهر مفهوم العلمانية استجابة للدعوة التي تعالت بين افراد النخبـة المثقفة، التي ركزت على فصل الدين عن السياسـة. وقد ذاعت هذه الدعوة في اوربا في القرون السـابقة، اثر سـيطرة الكنيسـة على الحياة السياسـية والاجتماعية وتوجيهـا بما يتناسـب مـع توجهاتها(ابراهيم، ١٩٧٨، ص١١٢؛ شـفربي،٢٠١٥، ص٢٦٨؛ روا، ٢٠١٦، ص٣٨) ومصالحها، ثم اخذ المصطلح بعد ذلك بالذيوع والانتشـار في مجتمعات اخرى،ومنها الاسلامية.

٢ - ان رجال الكنيسـة في اوربـا خرجوا عن الوظيفـة التقليديـة للدين المتمثلـة بالوعظ والارشـاد الديني، اذ انهم انحرفوا عن المسـيحية الحقيقية المتمثلة بمسـيحية المسـيح على حد تعبير كيركجور .نقول، ان انحراف المسـيحية عن وظيفتها التقليدية، دفعت ببعض اقطابها، ومنهم (سيرن كيركجور) الى مهاجمتها، بوصفها مؤسسة رسـمية، كرسـت جهودهـا لخدمـة مصالحها فحسب، دون النظر الى مصالح العباد، وهو الامر الذي دفـع كيركجور الى وصف الكهنة والقسـاوة انهم ((من أكلة لحـوم البشـر))(امام، ١٩٩٦، ص٦٥٨)، في اشـارة واضحة الى ان الشفقة والرحمة التي يفترض ان يتمتع بها هؤلاء، اصبحت ضعيفة الى حد كبير، وان شغلهم الشاغل، انصب على التحكم بشؤون العباد، وليس ادل على ذلك، سوى تأسيس محاكم سيئة السمعة، اطلق عليها (محاكم التفتيش). كانت مهمتها الرئيسة، تنحصر في محاكمة العلمـاء والمفكرين، الذين يأتون بآراء مخالفة لتعاليم الكنيسـة .نشير في هذا السياق، الى ان محاكم التفتيش، اخضعـت عالم الفلك (غاليلو) الى المحاكمة بتهمة الاعتقـاد بنظرية، تنص على ان الشـمس مركـز الكون(ابراهيم، ١٩٧٨، ص١١٢)، وذلك يخالف تمامـاً تعاليم الكنيسة، التي ترى ان الارض هي مركز الكون، وليس الشـمس. وقد اصدرت الكنيسـة حكماً غير قابل للنقض، اذ ((يجـب ان يُهان ويُذل ذلك العالِم المنشـق...ويجـب على غاليلو ان يسحب اقواله ويُخطـىء آراءه، فاذا رفض فيجـب ان يعذب بعد ان يرى وسائل التعذيب واجهزته))؛ في محاولة من رجال الكنيسـة للتأثير عليه، ومن ثم اجبـاره على الاعتراف بخطيئتـه، وهو الامر الذي كان يسعى اليه هؤلاء من ترهيـب غاليلو. اذ اقر بفعل الضغط عليه، ان الرأي الذي كان يتبناه كـان كاذباً، وهو عبارة عن اخطـاء وهرطقات، كما جاء في الاقرار ايضاً، ان يلعن هذه الاخطاء، وان يعترف انها كانت معادية للكنيسـة، وبموجب هـذا الاقرار، وضع رهن الاقامـة الجبرية، وهو في السـبعين من عمره، وقضى ما تبقى من حياته

سجيناً في منزله(عتريسي، ١٩٩٤، ص٢٠-٢١) حتى فارق الحياة. كما ان هذه المحاكم، قدمت الفنان التشكيلي (كويا) الى المحاكمة بتهمة الخروج عن التقاليد السائدة فيما يتصل بلوحاته الفنية التي حملت عنوان (نزوات)(ابراهيم، ١٩٧٨، ص١١٨) وقد انتهى به المطاف الى الحكم عليه بالاعدام، وبعد بلوغه الثامنة والسبعين من العمر، عمدت هذه المحاكم الى تخفيف الحكم عليه؛ وذلك بنفيه خارج بلاده اسبانيا. كذلك، تذكر المصادر التي تناولت تاريخ العلم، ان المفكر الايطالي (برونو) قدم الى محاكم التفتيش، بتهمة الاعتقاد بوجود عوالم غير العالم الذي نعيش فيه؛ وذلك ينافي توجهات الكنيسة. وقد صدر بحقه حكماً يقضي بحرقه بالنار حتى الموت(عتريسي، ١٩٩٤، ص٢١) على ان ملاحقة العلماء والمفكرين والمبدعين، استمرت الى ظهور المذهب البروتستانتي في الاصلاح، وقد انعكس سلباً على نفوذ رجال الكنيسة، فقد انحسر نفوذهم في الحياة السياسية والاجتماعية .واذا امعنا النظر في الدعوة الاصلاحية لهذا المذهب، نجد انها تركز على الجهود الفردية في الخلاص، بعيداً عن جهود الكاهن، ومعنى ذلك: ان حركة الاصلاح البروتستانتية تؤكد استقلالية الفرد في الخلاص؛ وذلك بمواصلة كفاحه لتحقيق ما يصبو اليه. كما انها تؤكد التوجه نحو المستقبل، وان لا تترك الامور للقدر، كذلك تؤكد حركة الاصلاح هذه، حرية الارادة(حسن، ٢٠٠٦، ص٢٠٥)، بعيداً عن القوى الخارجية .ومن هنا بدأت العلمانية بالذيوع والانتشار، اثر التحرر من قيود الكنيسة، والتركيز من ثم على الجهد الفردي في تقرير المصير، ومما زاد من ذيوع وانتشار العلمانية، ان حركة الاصلاح البروتستانتية، اخذت تطرح شعارات العلمانية القائلة: ((الدين لله والوطن للجميع))، وان ((لا دين في السياسة ولا سياسة في الدين))(حسيبة، ٢٠٠٩، ص٣٤٧)، في اشارة واضحة الى ان المجتمع هو الذي يقرر مصيره، ولا تقرره الكنيسة .

٣ - يعد الاتصال بالاخر المختلف دينياً سبباً في تنامي العلمانية في مجتمعاتنا العربية والاسلامية، سواء عن طريق حملات التبشير، او الزيارات الجماعية، او الحركة الاستعمارية التي ركز جلها على نشر ثقافة الاخر بين صفوف المجتمعات المستهدفة، عبر تأسيس تعليم مؤسسي، يركز على نشر الفكر العلماني في تلك المجتمعات .

٤ - ومن الاسباب التي ادت الى نشوء العلمانية، ان ثمة كتاباً اخذوا يروجون للفكر العلماني في كتاباتهم ومقالاتهم اليومية، التي ركزت على الرأي القائل: اننا لا نستطيع اللحاق بركب العالم المتقدم ما لم نأخذ باسباب التقدم الحاصل في الحضارة الغربية؛ ولكي يتم ذلك لابد من التركيز على دور العقل في تقرير المصير، سواء على المستوى الفردي، او على المستوى الجمعي .

٥ - ومما يعزز التوجهات العلمانية في مجتمعاتنا ان الاحزاب الدينية التي تولت الحكم اثبتت فشلها في ادارة ازمات المجتمع. كما فشلت في ادارة المناصب الرسمية التي اسندت اليها، مما ادى والحال هذه الى تدهور الاوضاع السياسية والاقتصادية والامنية، وهو الامر الذي استثار سخط المواطنين وتذمرهم من الطريقة التي تدار بها ازمات المجتمع والدولة. وكانت النتيجة المترتبة على ذلك كله: ان غالبية الافراد في هذه المجتمعات، باتوا على يقين، ان الاطروحات السياسية التي تستند الى الفكر العلماني، كانت اقرب الى معالجة ازمات المجتمع من تلك التي

يغلب عليها الطابع الديني .

٦ - ومن الاسباب التي اسهمت في تنامي العلمانية في مجتمعاتنا، ان بعض رجال الدين، سواء من طلبة المدارس الدينية، او من المراجع، كان مؤيداً لفكرة فصل الدين عن السياسة، او بتحديد ادق: ان ثمة مقولة اخذت تشيع بين هؤلاء القلة من رجال الدين، تشير الى ان رجل الدين ينبغي ان يبتعد تماماً عن السياسة، وان لا يتدخل فيها. ولعل السبب الذي دفعهم الى تبني هذا الرأي، هو ان رجل الدين غير ملم بشؤون السياسة؛ ولانه كذلك فان دخوله الى المعترك السياسي سيدفع به الى الابتعاد عن حدود الله؛ ذلك ان السياسة تقتضي الخداع والتدليس والنفاق، وهذا يتعارض تماماً مع النزعة الانسانية للدين .وبذلك، فان رجل الدين من وجهة النظر هذه ينبغي ان يقتصر دوره على الوعظ والارشاد والتوجيه، على ان هذا الدور لا يمنعه من ابداء رأيه في القضايا السياسية التي تستثير اهتمام الجمهور.

المؤشرات الدالة على انتشار التوجهات العلمانية في المجتمع العراقي بوصفه مجتمعاً تقليدياً:

تشير الدلائل، ان التوجهات العلمانية، اخذت تشيع في عموم المجتمع العراقي، وان ثمة مؤشرات دالة على ذيوعها وانتشارها، ولعل من ابرزها :

١ - ان التعليم الحادث في المدارس والمعاهد والجامعات العراقية، هو علماني بالدرجة الاساس، بمعنى: انه يتبع الاصول العلمانية في عرض المعرفة وتفسيرها. وانه يتناول المدارس المعرفية المختلفة، ولا يقتصر على مدرسة واحدة، او اتجاه واحد، الى جانب ذلك، ان علمانية التعليم، اقتضت الاختلاط بين الجنسين، واتاحة المجال لكل منهما للتنافس؛ من اجل النجاح، او تحقيق الذات .

٢ - كذلك، نشهد التوجهات العلمانية في المحاكم؛ اذ لا توجد محاكم دينية، او مذهبية، وانما هنالك محاكم مدنية واحدة يخضع لها الافراد من الاديان والمذاهب كافة. تستند تشريعاتها الى اصول مدنية، حالها حال التشريعات القانونية الموجودة في البلدان العلمانية، الا في حالات قليلة، اذ يستمد القانون مواده من الشريعة الاسلامية .

٣ - ان المتتبع للدساتير العراقية يجد انها علمانية بالدرجة الاساس، وهذا يشير الى حقيقة مفادها: ان العلمنة، لم تكن نتاج حقبة زمنية معينة، وانما هي نتاج المراحل التي مرت بها الدولة العراقية في تاريخها الحديث.

٤- كذلك، فان سفور المرأة وغياب القيود الموجهة اليها بهدف حملها على ارتداء الحجاب، او عدم الاهتمام بالزي المناسب الذي ينبغي ان ترتديه، يعد من المؤشرات الدالة على انتشار العلمانية في المجتمع العراقي .

٥- ومن المؤشرات الدالة على انتشار العلمانية في المجتمع العراقي، انتشار الاحزاب السياسية التي تستند الى الاصول العلمانية .

٦ - ان وجود منظمات المجتمع المدني، وان كانت ضعيفة التأثير، يعد دليلاً على ذيوع وانتشار العلمانية في المجتمع العراقي .

٧ - ان الاخذ باساليب الحداثة الغربية على نطاق واسع في المجتمع العراقي، يعد من المؤشرات الدالة على انتشار العلمانية فيه .

المنطلقات النظرية التي تستند اليها العلمانية :

تستند العلمانية الى عدد من المنطلقات النظرية، وفي هذا السياق نشير الى اهمها :

١ - تركز العلمانية على مبدأ فصل الدين عن السياسة؛ ولعل السبب الكامن وراء هذه الدعوة، يرجع الى ان الدين ينبغي ان لا يتدخل في شؤون السياسة، في مقابل ذلك يقتضي المبدأ ان لا تتدخل السياسة في شؤون الدين؛ لان ذلك سيفضي الى ابتعاد كل منهما عن حقله الطبيعي، مما يؤدي والحال هذه الى استثارة الخلافات بين رجل السياسة ورجل الدين، وهذا بدوره سينعكس سلباً على الامن الاجتماعي.

٢ - تنطلق العلمانية من منطلق مادي ملموس(حسيبة، ٢٠٠٩، ص٣٤٦) في نظرتها الى ظواهر المجتمع والطبيعة والكون، او بمعنى ادق: ان الفكر العلماني يعتمد على العقل اعتماداً كلياً في تفسير الظواهر، او الاحداث التي يتعرض لها الفرد، مع استبعاد واضح لكل ما هو غيبي، او غير عقلاني .

٣ - تسعى العلمانية الى تأمين الحريات الدينية(مغيزل، ١٩٨١، ص١٠١؛ بركات، ٢٠٠٠، ص٣٤٦)، لجميع الافراد بغض النظر عن ديانتهم كما انها لا تعمد الى تفضيل ديانة على اخرى. اذ ينظر الى جميع الافراد على اختلاف دياناتهم انهم مواطنون يتمتعون بكامل حقوق المواطنة، على ان العلمانية لا تقر بالالحاد، او تدعو اليه؛ ولانها كذلك، فهي تسعى الى توفير اجواءً مناسبة لجميع الافراد لاداء شعائرهم الدينية بالطريقة التي تنسجم مع معتقداتهم الدينية .

٤- ومن المنطلقات النظرية التي تركز عليها العلمانية، انها تنظر الى الشعب على انه مصدر السلطات التنفيذية والتشريعية والقضائية، وهو الى جانب ذلك، يعد الجهة الوحيدة التي تقرر مصير المجتمع في المجالات السياسية والاقتصادية والتربوية والثقافية والاجتماعية، وبموجب ذلك، يتولى الشعب تشريع القوانين التي تنظم هذه المجالات .

٥- وتركز العلمانية على اشاعة الثقافة العلمية والعقلانية(الواعظي، ٢٠٠٢، ص٨٠)، بين افراد المجتمع، ونبذ الثقافة التي تستند الى الخرافة واللاعقلانية.

ان مما يجب الاشارة اليه في هذا الصدد، ان مفهوم العلمانية، تعرض الى التشويه والتضليل؛ وهذا يعود الى عدد من الاسباب، منها :

١ - ان قنوات الاتصال الجمعية، وتحديداً الفضائيات أسهمت بشكل مقصود، او غير مقصود في تضليل المشاهدين عن حقيقة العلمانية. اذ اخذت رسائلها تصور العلمانية، انها دعوة الى الالحاد، او التحرر من قيود الدين، وما يرتبط به من التزام اخلاقي. وكانت النتيجة المتوقعة، ان الافراد من ذوي المستوى الثقافي المنخفض، وحتى من ذوي المستوى الثقافي المعتدل، كونوا اتجاهات سلبية نحو مفهوم العلمانية. لذا فان مفهوم العلمانية، حينما يطرح في المجالس الاجتماعية، يسارع هؤلاء الى نعته بالكفر والالحاد، بل يذهب بعضهم الى تبني نظرية المؤامرة في اشاعة هذا المفهوم بين صفوف المسلمين تحديداً .

٢ - ان رجال الدين الذين يتولون ادارة المنبر الديني وتوجيهه، اسهموا بطريقة، او باخرى في عملية تشويه مفهوم العلمانية. والمتتبع للخلفية الثقافية لهؤلاء، يجد انهم يتمتعون بمستوى ثقافي منخفض، لا يمكنهم من اصدار احكام

صائبة بصدد مفهوم العلمانية، وهو الامر الذي دفع بمتابعي المنبر الديني الى اكتساب معلومات مضللة وخاطئة في الوقت نفسه عن المفهوم. وهذا بدوره افضى الى تكوين اتجاهات سلبية نحوه، ومن ثم شيطنته، بوصفه مفهوماً غربياً، يراد منه الاساءة الى الاسلام .

٣ - ان القلة من افراد النخبة المثقفة اخذت تجاهر علانية بمعاداتها للدين، زاعمة انه بلاء على الشعوب؛ وحتى تتخلص من هذا البلاء، فان المطلوب منها، التخلي عن المعتقدات الدينية، وما يرتبط بها من نواهي ومحرمات؛ لكي تتمكن من اللحاق بركب الحضارة الانسانية، على ان هذه الاحاديث التي تطرق اسماع الاخرين من ذوي المستوى الثقافي المنخفض، ستدفع بهم الى النفور من مفهوم العلمانية، وكراهية اولئك الذين يطلق عليهم (علمانيون)، مما يؤدي والحال هذه، الى تكوين اتجاهات سلبية نحو المفهوم، ومن ثم نعته بنعوت دالة على الكفر والالحاد .

الازمات التي تعاني منها العلمانية في المجتمع العراقي :

تشير وقائع الميدان، ان مفهوم العلمانية في المجتمع العراقي، يعاني من ازمات متعددة، من بينها :

١ - ان المتتبع لمفهوم العلمانية، وتحديداً في المجتمعات التقليدية يجد انه نخبوي، يستهدف بالدرجة الاساس فئة المثقفين، ولا سيما فئة الافراد الذين يرتادون المنتديات الثقافية والجمعيات والنقابات ومؤسسات المجتمع المدني الاخرى، وهي فئة قليلة الى جانب، انها لا تتمتع بالنفوذ الذي يمكنها من التأثير في مجريات الاحداث. كما ان هذه الفئة، تعاني من اوضاع اقتصادية متقلبة وبالغة السوء، وهو الامر الذي يجعلها تنشغل بوضعها المعيشي اكثر من انشغالها بترسيخ المفهوم في المجتمع.

٢ - يلاحظ على المجتمع العراقي، انه تستقطبه ثلاث مرجعيات تقليدية: العشائرية والدينية والاثنية، وتشير الدلائل، ان لها تأثيراً واضحاً في اتجاهات الافراد، على ان هذا التأثير يتفاوت من مرجعية الى اخرى، وبالرغم من التفاوت الحاصل في التأثير، فان اتجاهات الغالبية من افراد المجتمع، تتوزع بين هذه المرجعيات .والمهم في الامر، ان الخطاب الحادث في هذه المرجعيات، يتعارض تماماً مع توجهات العلمانية، فالخطاب الصادر عن المرجعية العشائرية، او القبلية، يؤكد الولاء القرابي والتضامن مع العشيرة، او القبيلة وحماية الفرد والدفاع عنه، ان كان ظالماً، او مظلوماً. في حين، ان توجهات العلمانية، تؤكد ولاء الفرد للجماعة الكبيرة، وان القانون، هو الذي يتولى تنظيم شؤون الافراد. كما ان الخطاب الصادر عن المرجعية الدينية، يتعارض هو الاخر مع توجهات العلمانية، اذ ان المرجعية الدينية، يؤكد خطابها على الالتزام بالقواعد التي حددتها التعاليم الدينية، وان الالتزام بهذه القواعد، سيفضي الى حصول الفرد على الثواب الاخروي، وذلك بوعده بحياة طيبة في الاخرة. في حين، ان التوجهات العلمانية، تركز جل اهتمامها على الحياة الدنيا، دون الانشغال بالمعتقدات الدينية، والتفاصيل المتعلقة بها، فهي شأن شخصي، تترك للفرد حرية الاعتقاد، شريطة ان لا يلحق هذا الاعتقاد ضرراً بالاخرين، او الاعتداء على حقوقهم، كذلك، تركز التوجهات العلمانية على التعايش بين الاديان، واحترام المعتقدات الدينية للجماعات الاثنية التي يتألف منها المجتمع. ونشير كذلك، ان الخطاب

الصـادر عن المرجعية الاثنية، يتعارض تماماً مع توجهـات العلمانية، ولو امعنا النظر في الخطاب الصادر عن المرجعية الاثنية، نجد انـه يؤكد الولاء للجماعة الاثنية دون غيرهـا، والميل الى اعلاء شـأنها، والتمركز حول توجهاتها الحياتية. في حين، ان توجهات العلمانية تؤكد، الولاء للمجتمع على اختلاف جماعاته الاثنية، واحترام الاعـراف والتقاليـد المرتبطة بهذه الجماعات. لذا نسـتطيع القولـ، ان العلمانية في المجتمع التقليـدي، كالمجتمع العراقي، تواجـه صعوبة بالغة في ترسيخ توجهاتها بين الافراد؛ والسبب يرجع الى ان عمليات التعلم الاجتماعي الحاصلة في البيئة الاجتماعية، لم تركز على توجهات العلمانية، ولن تركز عليها في المسـتقبل القريب؛ ولانها كذلك، فقد اصبح حالها حالـ المفاهيم الاخـرى التي يجري تداولها بين الافراد، دون ان يفقهوا معناها.

٣ - والازمـة الثالثة التي يعاني منهـا مفهوم العلمانية، انه يركز على الامـور الدنيوية، دون الاشارة الى المعتقدات الدينية، وهو الامر الذي دفع بالافراد من المستوى الثقافي المنخفض، وحتى اقرانهم من ذوي المسـتوى الثقافي المعتدل، ان يفسروا المفهوم على انه دعوة الى الالحاد(هيبارد، ٢٠١٤، ص٦٢)، وان الفرد الذي يحمل اتجاهات علمانية، عادة مـا ينعت بصورة نمطية من قبيل: ملحـد، خارج عن الملة، لا ديـن له، وغير ذلك من الصور النمطية التي يحملها هولاء الافراد عن مفهوم العلمانية. وبذلكـ، فـان المعنى الشـائع للعلمانية بين غالبية افراد المجتمع العراقي، يشير الى الالحاد، او انه مفهوم يدعو الى التخلي عن المعتقدات الدينية، وبهذا المعنى، فهـو مرادف للالحاد من وجهة نظر هؤلاء.

فرضيات البحث :

١ - تشيع بين العراقيين اتجاهات سلبية نحو مفهوم العلمانية.

٢ - تشـيع اتجاهـات سـلبية نحـو مفهوم العلمانية بين الذكور اكثر من الاناث.

٣ - تشـيع اتجاهـات سـلبية نحـو مفهوم العلمانية بين الافراد من ذوي المستوى الاجتماعي - الاقتصادي المنخفض اكثر من اقرانهم في المستويات الاجتماعية - الاقتصادية الاخرى.

ثانياً: اجراءات البحث

العينة:

سُحبت عينة البحث الحالي مـن الموظفين العاملين في الدوائر الرسـمية في مدينـة بغداد بمختلف الدرجات الوظيفية، ومن فئات مهنية مختلفة، كالمعلمين والمدرسـين والمهندسين واسـاتذة الجامعة، الى جانب الافراد العاملين في المهن الحرة، وبذللـ، فـان العينـة الحالية، اتصفت بالتنوع والتباين.

والجدير بالاشارة، ان عينة البحث الحالي، سحبت بالطريقة العشوائية البسـيطة، اذ بلغ حجمها (٨٠٠) فرداً، وقد اتصفت بالخصائص الاتية :

١- بلغـت نسـبة الذكور (٤٢,٦٣٪)، في حين بلغت نسبة الاناث (٥٧,٣٧٪).

٢ - تراوح التحصيل الدراسي لافـراد العينة بين الحصول على شهادة الدراسـة الابتدائية والحصول على شهادة عليا. اذ تشير البيانات، ان (٢,٧٦٪) من افراد العينة، بلغ تحصيله الدراسي المرحلة الابتدائيـة، وان (٣,٨٧٪) منهم بلغ تحصيله الدراسي المرحلة المتوسطة. كما تشير البيانات، ان)

١٨,٢٥٪ (بلغ تحصيله الدراسي المرحلة الثانوية، وان (١٧,٧٥٪) بلغ تحصيله الدراسي الحصول على شهادة الدبلوم، وان (٥٤٪) منهم، بلغ تحصيله الدراسي الحصول على شهادة البكالوريوس، في حين، ان (٣,٣٧٪ (من افراد العينة، بلغ تحصيله الدراسي الحصوا على شهادة عليا .

٣- تراوحت اعمار افراد العينة بين (١٥ - ٧٠) سنة، وبمتوسط بلغ (٣٥,٥٩) سنة .

٤ - بلغت نسبة المتزوجين من افراد العينة (٦٤,٥٪)، وبلغت نسبة غير المتزوجين) ٣٢,٧٥٪)، وبلغت

نسبة المطلقين ٠,٢٥٪، فيما بلغت نسبة الارامل (٣,٧٥٪)

٥- بلغت نسبة العاملين في دوائر الدولة) ٥٥,٢٥٪)، في حين بلغت نسبة العاملين في المهن الحرة (٤٤,٧٥٪)

الاداة:

١ - مقياس الاتجاهات نحو مفهوم العلمانية:

اعتمد الباحث على طريقة ليكرت في اعداد المقياس الحالي، ثم بعد ذلك اجرى استطلاعاً اولياً يستهدف جمع الفقرات الدالة على اتجاهات الافراد نحو مفهوم العلمانية؛ وذلك بتوجيه سؤال الى عينة من الافراد، بلغ حجمها (١٠٠) فرداً، طلب منهم، بيان آرائهم بمفهوم العلمانية، وكيف يرونه. وقد حصل على عدد من الفقرات، ثم اضاف اليها الباحث فقرات اخرى، مستوحاة من خبرته الميدانية، فضلاً عن مراجعة الادبيات في هذا الصدد، ثم بعد ذلك، اجرى لها صياغة لغوية. ونتيجة لهذا الاجراء، عُدلت الفقرات التي تحمل اكثر من فكرة واحدة، وروعي في الصياغة اللغوية، ان تكون الفقرات واضحة ومفهومة، مع مراعاة ان تكون الفقرة الواحدة قصيرة؛ لكي لا تحدث تشتتاً في انتباه المستجيب، وبذلك اصبح عدد فقرات المقياس بصيغته الحالية (١٨) فقرة. والجدير بالاشارة، ان المقياس الحالي روعي في صياغة فقراته، ان يكون نصفها ايجابياً، والنصف الاخر سلبياً؛ وذلك لتجنب التهيؤ للاستجابة، وفي الوقت نفسه، تقليل المرغوبية الاجتماعية. وبعد الصياغة النهائية للفقرات، اعدت تعليمات المقياس، وروعي فيها ان تكون واضحة وغير مملة، كذلك، تضمنت التعليمات، الغرض من البحث، مع دعوة افراد العينة ان يجيبوا عن الفقرات بصراحة تعبر عن موقفهم من مفهوم العلمانية، وان لا يتركوا اية فقرة دون اجابة.

حُسبت الدرجة الكلية للمستجيب على مقياس الاتجاهات نحو مفهوم العلمانية على اساس مجموع الدرجات التي يحصل عليها من اجابته عن فقرات المقياس البالغة (١٨) فقرة. وقد حُددت الاوزان من (١ - ٥) لكل بديل، ولما كان المقياس يشتمل على فقرات ايجابية واخرى سلبية، فقد اعطيت الاوزان الاتية :

بدائل الاستجابة	الفقرات الايجابية	الفقرات السلبية
تنطبق عليّ بدرجة كبيرة جداٍ	٥	١
تنطبق عليّ بدرجة كبيرة	٤	٢
تنطبق عليّ بدرجة معتدلة	٣	٣
تنطبق عليّ بدرجة قليلة	٢	٤
لا تنطبق عليّ تماماٍ	١	٥

وبهذه الطريقة، تم تصحيح استمارات افراد العينة؛ ولاجل الحصول على مقياس يتمتع بالموضوعية المطلوبة، فان الامر يقتضي استخراج مؤشرات دالة على الصدق والثبات.

الصدق :

استُخرج صدق البناء عن طريق اختبار الفرضية القائلة: ان الافراد من ذوي المستوى الاجتماعي - الاقتصادي المنخفض، تكون اتجاهاتهم نحو مفهوم العلمانية، اكثر سلبية من اقرانهم الاخرين. وللتحقق من صحة ذلك، سُحبت (١٠٠) استمارة من عينة البحث الاساسية، ثم قُسمت بعد ذلك الى مجموعتين: الاولى، فهي المجموعة التي تشتمل على الافراد الذين ينتمون الى المستوى الاجتماعي - الاقتصادي المنخفض، وقد بلغ عددهم (٧٥) فرداً. واما الثانية، فهي المجموعة التي تشتمل على الافراد الذين ينتمون الى المستوى الاجتماعي - الاقتصادي العالي، وقد بلغ عددهم (٢٥) فرداً؛ ولاختبار دلالة الفروق بين هاتين المجموعتين، فقد طبق الاختبار التائي لعينتين مستقلتين؛ لاختبار الفروق بين متوسطات الافراد في المجموعتين الاولى والثانية، والجدول (١) يوضح ذلك .

الجدول (١)

يوضح دلالة الفروق بين الافراد الذين ينتمون الى المستوى الاجتماعي - الاقتصادي المنخفض والافراد الذين ينتمون الى المستوى الاجتماعي - الاقتصادي العالي.

مجموعتا الافراد	المتوسط	الانحراف المعياري	القيمة التائية المحسوبة	القيمة التائية الجدولية	مستوى الدلالة عند ٠,٠٥
الافراد الذين ينتمون الى المستوى الاجتماعي – الاقتصادي المنخفض	٦٠,٤٩	١١,٥٣٧	١,٩٦٤	١,٩٦٠	دال
الافراد الذين ينتمون الى المستوى الاجتماعي – الاقتصادي العالي	٦٤,٤٨	١٣,٢٧٠			

يتضح من الجدول، ان ثمة فروقاً بين مجموعتي الافراد، وكانت الفروق لصالح المجموعة الثانية، وهذه النتيجة، تشير ان المقياس الحالي، قادر على التمييز بين المجموعة التي تحمل اتجاهات سلبية والاخرى التي تحمل اتجاهات اقل سلبية، مما يعني، ان المقياس الحالي يتمتع بصدق البناء .

الثبات :

استخرج الثبات للمقياس الحالي بطريقة الاتساق الداخلي؛ وذلك بتطبيق معادلة الفا للثبات على عينة عشوائية بلغت (٥٠) استمارة، سحبت من استمارات العينة الاساسية، اذ بلغ معامل الثبات (٠,٧٣) وهو مقبول استناداً الى معيار مطلق .

٢ -المستوى الاجتماعي - الاقتصادي: لجأ الباحث الى اعتماد عددٍ من المؤشرات الاجتماعية والاقتصادية؛ بهدف قياس المستوى الاجتماعي - الاقتصادي لافراد العينة، وفي هذا السياق نشير الى ابرزها:

أ- عائدية السكن :

تعطى الدرجة (١) في حال كون الوحدة السكنية ملكاً، وتعطى الدرجة (صفر) في حال كون الوحدة

السكنية ايجاراً.

ب- غرف النوم :

لقد قسم هذا المؤشر الى اربع فئات، طول الفئة الواحدة غرفتان، واعطيت الدرجات الاتية :

١ - ٢ وتعطى هذه الفئة الدرجة (١)

٣ - ٤ وتعطى هذه الفئة الدرجة (٢)

٥ - ٦ وتعطى هذه الفئة الدرجة (٣)

٧ فاكثر وتعطى هذه الفئة الدرجة (٤)

ج- عدد افراد الاسرة :

قُسم هذا المؤشر الى خمس فئات، طول الفئة الواحدة ثلاثة افراد، واعطيت الدرجات الاتية:

٢ - ٤ وتعطى هذه الفئة الدرجة (٥)

٥ - ٧ وتعطى هذه الفئة الدرجة (٤)

٨ - ١٠ وتعطى هذه الفئة الدرجة (٣)

١١ - ١٣ وتعطى هذه الفئة الدرجة (٢)

١٤ فاكثر وتعطى هذه الفئة الدرجة (١)

د- التحصيل الدراسي :

طلب الباحث من افراد العينة، ان يذكروا تحصيلهم الدراسي، وقد قُسم هذا المؤشر الى ستة فئات، واعطيت الدرجات الاتية:

يمنح الفرد الدرجة (١) اذا كان حاصلاً على شهادة الدراسة الابتدائية

يمنح الفرد الدرجة (٢) اذا كان حاصلاً على شهادة الدراسة المتوسطة

يمنح الفرد الدرجة (٣) اذا كان حاصلاً على شهادة الدراسة الثانوية

يمنح الفرد الدرجة (٤) اذا كان حاصلاً على شهادة الدبلوم

يمنح الفرد الدرجة (٥) اذا كان حاصلاً على شهادة البكالوريوس

يمنح الفرد الدرجة (٦) اذا كان حاصلاً على شهادة جامعية عليا (ماجستير - دكتوراه).

تجمع درجات المستجيب على المؤشرات الاربعة، وحاصل الجمع، يمثل المستوى الاجتماعي - الاقتصادي له، والطريقة المعتمدة في تحديد هذا المستوى، تستند الى التقسيم الطبقي الذي يتم بموجبه تصنيف الافراد الى ثلاثة مستويات: عليا ومتوسطة ودنيا، وللتوضيح اتبع الاجراء الآتي:

تطرح الدرجة الدنيا من الدرجة العليا، ثم يقسم الناتج على المستويات الثلاثة، اي ان :

١٤ - ٥ = ٩ يمثل الفرق بين الدرجات الدنيا والعليا

٩ ÷ ٣ = ٣ يمثل الفرق بين كل مستوى، واستناداً الى ذلك، تكون درجة المستوى المنخفض: ٣ + ٥ = ٨

اي ان الفرد الذي يحصل على درجة (٧) فاقل، يصنف ضمن المستوى المنخفض .

واما المستوى المتوسط، فان درجته هي: ٨ + ٣ = ١١

وتتراوح درجته بين (٨ - ١٠) واما المستوى الاعلى، فان درجته تنحصر بـ (١١) فاكثر .

ثالثاً: النتائج

الكشف عن طبيعة اتجاهات العراقيين نحو مفهوم العلمانية :

لقد استخرج وسيط الدرجات لافراد العينة على مقياس الاتجاهات نحو مفهوم العلمانية، اذ بلغ (٦٢)، واستناداً الى قيمة الوسيط، فقد قُسمت الدرجات التي حصل عليها افراد العينة الى مجموعتين: فاما الاولى، فهي المجموعة التي تشتمل على الافراد الذين سجلوا درجة عالية على المقياس؛ وذلك بحصولهم على درجة اكثر من الوسيط (٦٢). واما الثانية، فهي المجموعة التي تشتمل على الافراد الذين سجلوا درجة منخفضة على المقياس؛ وذلك بحصولهم على درجة اقل من الوسيط (٦٢)، والجدول (٢) يوضح ذلك.

الجدول (٢)

يوضح النسبة المئوية التي حصلت عليها المجموعتان العليا والدنيا على مقياس الاتجاهات نحو مفهوم العلمانية.

طبيعة اتجاهات العراقيين نحو مفهوم العلمانية	النسبة المئوية
الافراد الذين سجلوا درجة عالية على المقياس	٤٧,١٣
الافراد الذين سجلوا درجة منخفضة على المقياس	٤٩,٣٨

يتضح من الجدول، ان ثمة فروقاً بين المجموعتين العليا والدنيا، وان الفروق لصالح المجموعة الدنيا، اذ حصلت على نسبة (٤٩,٣٨٪)، وهذا يعني: ان الاتجاهات نحو مفهوم العلمانية، تتصف بالسلبية، وبذلك، فان الفرضية الاولى، قد تحققت.

الكشف عن الفروق في الاتجاهات نحو مفهوم العلمانية، تبعاً لمتغيرات الجنس والفئة العمرية والمستوى الاجتماعي - الاقتصادي .

لجأ الباحث الى استعمال تحليل التباين للتصنيف الثلاثي) ٢x٦x٣)، والجدول (٣) يوضح ذلك.

الجدول (٣)

يوضح تحليل التباين للتصنيف الثلاثي لمعرفة دلالة الفروق في الاتجاهات نحو مفهوم العلمانية، تبعاً لمتغيرات الجنس والفئة العمرية والمستوى الاجتماعي – الاقتصادي.

مصدر التباين	درجات الحرية	القيمة الفائية المحسوبة	القيمة الفائية الجدولية	مستوى الدلالة عند ٠,٠٥
الجنس	١	٠,٠٧٥	٣,٨٦	غير دال
الفئة العمرية	٥	٠,٦٤٦	٢,٢٢	غير دال
المستوى الاجتماعي – الاقتصادي	٢	٨,٥٦٧	٣	دال
الجنس x الفئة العمرية	٤	١,٢٧٠	٢,٣٨	غير دال
الجنس x المستوى الاجتماعي - الاقتصادي	٢	٠,٠٣٣	٣	غير دال
المستوى الاجتماعي – الاقتصادي x الفئة العمرية	٨	٢,٥٧٣	١,٩٥	دال
الجنس x الفئة العمرية x المتسوى الاجتماعي - الاقتصادي	٧	٠,٦٧٣	٢,٠٢	غير دال
الخطأ	٧٧٠			
الكلي	٨٠٠			

تشير النتائج الواردة في الجدول (٣) الى الآتي:

١ - ان ثمة فروقاً ذات دلالة احصائية عند مستوى ٠,٠٥ بالنسبة لمتغير المستوى الاجتماعي - الاقتصادي، وقد صنف هذا المتغير الى ثلاث مستويات: عال ومتوسط ومنخفض؛ ولتحديد المستوى الاجتماعي - الاقتصادي الاكثر تأثيراً في اتجاهات الافراد نحو مفهوم العلمانية، لجأ الباحث الى استعمال الاختبار التائي لعينتين مستقلتين بين كل مجموعتين، والجدول (٤) يوضح ذلك .

الجدول (٤)

يوضح الاختبار التائي لعينتين مستقلتين بين كل مجموعتين طبقاً لمتغير المستوى الاجتماعي – الاقتصادي.

المستوى الاجتماعي - الاقتصادي	المتوسط	الانحراف المعياري	القيمة التائية المحسوبة	القيمة التائية الجدولية	مستوى الدلالة عند ٠,٠٥
المستوى المنخفض	٥٩,٥٦	٩,٧٠٤	٠,١٨٤	١,٩٦٠	غير دال
المستوى المتوسط	٦٠,٠٥	١٣,٠٤٤			
المستوى المنخفض	٥٩,٥٦	٩,٧٠٤	١,١١٢	١,٩٦٠	غير دال
المستوى العالي	٦٢,٥٢	١٣,١٣٥			
المستوى المتوسط	٦٠,٠٥	١٣,٠٤٤	٢,٤٧٨	١,٩٦٠	دال
المستوى العالي	٦٢,٥٢	١٣,١٣٥			

يتضح من النتائج الواردة في الجدول (٤)، ان ثمة فروقاً ذات دلالة احصائية بين المستوى الاجتماعي - الاقتصادي المتوسط والمستوى الاجتماعي - الاقتصادي العالي، وكانت الفروق لصالح المستوى الاجتماعي - الاقتصادي العالي، استناداً الى متوسطات كل منهما. في حين، لم تظهر اية فروق ذات دلالة احصائية بالنسبة للمستويات الاجتماعية - الاقتصادية الاخرى، وهذا يعني: ان الفروق قد تركزت لصالح المستوى الاجتماعي - الاقتصادي العالي، وبذلك، فان الفرضية الرابعة لم تتحقق.

٢ - كذلك، تشير النتائج في الجدول (٣)، ان متغير الجنس، لم يكن دالاً عند مستوى ٠,٠٥ ،وهذا يعني: ان هذا المتغير، لم يكن له تأثير واضح في تشكيل اتجاهات الافراد، واستناداً الى هذه النتيجة، فان الفرضية الثانية، لم تتحقق .

٣- كما تشير النتائج الواردة في الجدول (٣)، ان متغير الفئة العمرية لم يكن دالاً عند مستوى ٠,٠٥ ؛ وذلك يشير ان هذا المتغير لم يكن له تأثير واضح في تشكيل اتجاهات الافراد، واستناداً الى هذه النتيجة، فان الفرضية الثالثة، لم تتحقق .

٤ - تشير البيانات الواردك في الجدول (٣)، ان التفاعل الثنائي بين متغيري المستوى الاجتماعي - الاقتصادي والفئة العمرية، كان دالاً عند مستوى ٠,٠٥ ؛ وذلك يعني: ان متغير الفئة العمرية، لم يكن

له تأثير واضح في تشكيل اتجاهات الافراد، حين كان منفرداً، وعندما تفاعل مع متغير اخر مؤثر، اكتسب صفة التأثير .

كما اظهرت النتائج، ان التفاعل الثنائي بين كل من الجنس والفئة العمرية، لم يكن دالاً عند مستوى ٠,٠٥، كذلك، اظهرت البيانات، ان التفاعل الثنائي بين الجنس والمستوى الاجتماعي - الاقتصادي، لم يكن دالاً عند مستوى ٠,٠٥. ونشير كذلك، الى ان التفاعل الثلاثي بين متغيرات الجنس والفئة العمرية والمستوى الاجتماعي - الاقتصادي، لم يكن دالاً هو الاخر عند مستوى ٠,٠٥.

مناقشة النتائج:

لقد تبين من النتائج التي اسفر عنها البحث الحالي، ان الاتجاهات التي يحملها العراقيون نحو مفهوم العلمانية، كانت تتسم بالسلبية؛ وذلك يعني: ان هذا المفهوم، لم يعد يحظى بالقبول الاجتماعي؛ وذلك يرجع الى عدد من الاسباب، منها: ان قنوات الاتصال الجمعية، ومنها الفضائيات الدينية تحديداً، اسهمت بشكل مقصود، او غير مقصود في تضليل المشاهدين عن حقيقة العلمانية. اذ اخذت تطرحها عبر رسائلها، انها دعوة الى الالحاد، او التحرر من قيود الدين،وما يرتبط به من التزام اخلاقي، مما دفع بعامة الافراد الى تكوين اتجاهات سلبية نحو مفهوم العلمانية، ومن ثم نعته بنعوت الكفر والالحاد. كما ان رجال الدين الذين يتولون ادارة المنبر الديني، اسهموا بشكل، او باخر، في عملية تشويه مفهوم العلمانية عند متابعيهم، وهذا ادى بطبيعة الحال الى اكتساب معلومات مضللة وخاطئة في الوقت نفسه عن المفهوم. وكانت النتيجة المتوقعة، ان هؤلاء المتابعين، اخذوا يكونون اتجاهات سلبية نحوه، ومن ثم شيطنته، بوصفه مفهوماً يراد منه الاساءة الى الاسلام. كذلك؛ يرجع السبب في الاتجاهات السلبية المتكونة نحو مفهوم العلمانية، ان القلة من افراد النخبة المثقفة، اخذت تجاهر علانية بمعاداتها للدين، زاعمة انه بلاء على الشعوب: ولكي تتخلص من هذا البلاء، فان الامر يقتضي التخلي عن المعتقدات الدينية. وهذا سيمكنها في نهاية المطاف من اللحاق بركب الحضارة الانسانية، والحقيقة، ان هذه الاحاديث التي يسمعها العامة، ستدفع بهم الى النفور من مفهوم العلمانية، وكراهية اولئك الذين يتداولون المفهوم في احاديثهم اليومية. ومن الاسباب التي ادت الى تكوين اتجاهات سلبية نحو مفهوم العلمانية، ان المجتمع العراقي تستقطبه ثلاث مرجعيات تقليدية: العشائرية والدينية والاثنية. وبطبيعة الحال، ان الخطاب الصادر عن هذه المرجعيات، يتعارض تماماً مع توجهات العلمانية، فالخطاب الصادر عن المرجعية العشائرية او القبلية، يؤكد الولاء للعشيرة، او القبيلة، في حين، ان الخطاب الصادر عن العلمانية يؤكد ولاء الفرد للجماعة الكبيرة. كما ان المرجعية الدينية، يتعارض خطابها مع خطاب العلمانية، اذ انها تؤكد الالتزام بالقواعد التي حددتها التعاليم الدينية، وان الالتزام بهذه القواعد، سيفضي الى حصول الفرد على الثواب الاخروي، في حين، ان العلمانية تركز في توجهاتها على الحياة الدنيا، دون الانشغال بالمعتقدات الدينية، وما يتعلق بها .نشير كذلك، ان المرجعية الاثنية تتعارض هي الاخرى مع التوجهات العلمانية، والمتتبع للخطابالصادر عن كل من المرجعية الاثنية والعلمانية، يجد ان خطاب الاولى، يؤكد الولاء للجماعة الاثنية دون غيرها، في حين ان خطاب الثانية، يؤكد الولاء للمجتمع

على اختلاف جماعاته الاثنية، واحترام الاعراف والتقاليد المرتبطة بهذه الجماعات. والرأي الذي ننتهي اليه، ان هذه الاسباب مجتمعة، هي التي دفعت بالافراد الى ان يشكلوا اتجاهات سلبية نحو مفهوم العلمانية .

كذلك تشير النتائج التي اسفر عنها البحث الحالي، ان المستوى الاجتماعي - الاقتصادي، يعد من المتغيرات المؤثرة في الاتجاهات المتكونة نحو مفهوم العلمانية، وقد تبين، ان افراد المستوى الاجتماعي - الاقتصادي العالي يحملون اتجاهات اشد سلبية من اقرانهم في المستويات الاجتماعية - الاقتصادية الاخرى. وكان المتوقع، ان افراد المستوى الاجتماعي - الاقتصادي المنخفض، هم الذين يحملون هذا النوع من الاتجاهات؛ بسبب انهم يتمتعون بمستوى ثقافي ومعرفي لا يؤهلهم لفهم حقيقة العلمانية؛ ولانهم كذلك، فان المتوقع ان تكون اتجاهاتهم اكثر سلبية من غيرهم. بيد ان النتائج، كانت مخالفة لهذه التوقعات؛ ويعزي السبب في ذلك، الى ان مفهوم العلمانية، لما يزل بعد، يواجه صعوبة بالغة في ترسيخ توجهاته بين افراد المجتمع على اختلاف مستوياتهم الاجتماعية - الاقتصادية؛ لان عمليات التعلم الاجتماعي، لم تركز على هذا المفهوم، فضلاً عن ان غالبية الافراد، تجهل معناه ودوره في الحياة الاجتماعية والسياسية. لذا، اصبح حاله حال المفاهيم الاخرى التي يرددها الافراد في المنتديات الثقافية والندوات والمؤتمرات العلمية، دون المعرفة بحقيقة منطلقاتها النظرية. والسبب الاخر، الذي جعل افراد المستوى الاجتماعي - الاقتصادي العالي، يحملون اتجاهات سلبية نحو مفهوم العلمانية؛ يرجع الى ان هؤلاء ينظرون الى العلمانية على انها تحزب، او تنظيم سياسي، حالها حال الاحزاب ذات التوجهات العلمانية؛ ولان هذه الاحزاب، انشغلت بمسألة الوصول الى السلطة، دون الانشغال بالاوضاع السياسية والاقتصادية والامنية الآخذة بالتدهور، فقد زاد سخط هؤلاء وتذمرهم، ومن ثم كراهية كل تجمع، او فكرة، او حزب يحمل شعارات علمانية. كما تشير نتائج البحث الحالي، ان متغيري الجنس والفئة العمرية، لم يسهما في تشكيل الاتجاهات نحو مفهوم العلمانية؛ وذلك يرجع الى ان الافراد جميعاً بغض النظر عن جنسهم وفئاتهم العمرية، ينظرون الى هذا المفهوم على انه دخيل على المجتمع، اذ يراد منه اشاعة الرذيلة والفاحشة فيه، كما هو الحال في المجتمعات التي انتهجت نهجاً علمانياً.

المصادر :

.ابراهيم، عبد الستار (١٩٧٨). آفاق جديدة في دراسة الابداع، وكالة المطبوعات، الكويت.

ـ العظمة، عزيز (١٩٩٨). العلمانية من منظور مختلف، ط٢، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت.

.الواعظي، احمد (٢٠٠٢). الدولة الدينية: تأملات في الفكر السياسي الاسلامي، (حيدر حب الله، مترجم)، مركز الغدير للدراسات الاسلامية، بيروت.

ـ امام، امام عبد الفتاح (١٩٩٦). افكار ومواقف، مكتبة مدبولي، القاهرة.

ـ بركات، حليم (٢٠٠٠). المجتمع العربي في القرن العشرين: بحث في تغير الاحوال والعلاقات، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت.

.حسن، محمود شمال (٢٠٠٦). المجتمع المنجز: دراسة لتهيئة المجتمع العربي للإنجاز، دار الآفاق العربية، القاهرة.

ـ حسيبة، مصطفى (٢٠٠٩). المعجم الفلسفي، دار اسامة، عمان.

.روا، اوليفييه (٢٠١٦). الاسلام والعلمانية، (صالح الاشمر، مترجم)، دار الساقي، بيروت.

.سروش، عبد الكريم (٢٠٠٩). التراث والعلمانية: البنى والمرتكزات، الخلفيات والمعطيات، منشورات الجمل، بيروت.

.شفربي، غيلان (٢٠١٥). العلمانية: رهان مجتمعي، (ترجمة نور الدين علوش)، المجلة العربية لعلم الاجتماع، عدد(٢٩-٣٠)، ص٢٦٨.

.عتريسي، طلال (١٩٩٤). في التربية وعلم النفس: اختلاف المفاهيم، مركز الدراسات الاستراتيجية والبحوث والتوثيق، بيروت.

.غدنز، انتوني (٢٠٠٥). علم الاجتماع (مع مدخلات عربية)، (فايز الصايغ، مترجم)، المنظمة العربية للترجمة، بيروت.

.مغيزل، جوزيف (١٩٨١). الاسلام والمسيحية العربية والقومية العربية والعلمانية، مجلة المستقبل العربي، العدد (٢٦)، ص١٠١.

.هيبارد، سكوت (٢٠١٤). السياسة الدينية والدول العلمانية: مصر والهند والولايات المتحدة الاميركية، (الامير سامح كريم، مترجم)، سلسلة عالم المعرفة، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت.

Macionis, J.J.(1993). *Sociology*, 4thed, Englewood cliffs, New Jersey: Prentice.

Schaefer, R.T. and Lamm, R.P.(1995). *Sociology*, 5thed, McGraw – Hill, New York.

Stark, R.(2001). *Sociology*, 8thed, Wads Worth, Australia.

مقياس الاتجاهات نحو مفهوم العلمانية

عزيزي المستجيب:

بين يديك مجموعة من الفقرات، تتناول موضوع العلمانية، يرجى قراءتها بدقة، ثم بعد ذلك حدد موقفك منها، وذللك باختيار البديل الذي ينسجم مع موقفك منها، فان كانت الفقرة الواحدة، تنطبق عليك بدرجة كبيرة جداً، يرجى وضع اشارة (✓) امام البديل (تنطبق عليّ بدرجة كبيرة جداً)، وان كانت الفقرة تنطبق عليك بدرجة كبيرة، يرجى التأشير امام البديل (تنطبق عليّ بدرجة كبيرة). وهكذا بالنسبة للبدائل الاخرى، وان كانت الفقرة لا تنطبق عليك تماماً، يرجى التأشير امام البديل (لا تنطبق عليّ تماماً)، وفي الختام تقبل خالص شكرنا وتقديرنا.

ت	الفقرات	تنطبق عليّ بدرجة كبيرة جداٍ	تنطبق عليّ بدرجة كبيرة	تنطبق عليّ بدرجة معتدلة	تنطبق عليّ بدرجة قليلة	لا تنطبق عليّ تماماٍ
١	ارى ان العلمانية تنظر الى الافراد جميعا نظرة متساوية بغض النظر عن طوائفهم وقومياتهم.					
٢	اجد ان العلمانية تتعارض مع مبادئ الديانة الاسلامية.					
٣	اعتقد ان العلمانية نظام سياسي يحترم حقوق الانسان.					
٤	ارى ان العلمانية تضع قيوداٍ على الافراد عند اداء شعائرهم الدينية.					
٥	ارى ان العلمانية تنسجم مع مقتضيات الحياة العصرية التي نعيشها.					
٦	اعتقد ان العلمانية نظام سياسي لا يصلح لمجتمعنا.					
٧	اجد ان العلمانية نظام سياسي يخلو من التعصب لاي فكر او معتقد.					
٨	اعتقد ان اتباع مبادئ العلمانية يفقد مجتمعنا هويته الوطنية.					
٩	اعتقد ان اشاعة مبادئ العلمانية يفضي الى التخفيف من حدة المشكلات التي يعاني منها المجتمع.					
١٠	ارى ان الاعتماد على المبادئ العلمانية في تسيير شؤون المجتمع يؤدي الى اشاعة الانحلال الاجتماعي.					
١١	اعتقد ان اتباع المبادئ العلمانية يجعل المجتمع اكثر تطوراٍ.					
١٢	اجد ان العلمانية نظامً سياسيً يحارب التنوع الديني في المجتمع.					
١٣	اجد ان العلمانية تدعو الى الاعتماد على العلم والمعرفة في تسيير شؤون المجتمع.					
١٤	اجد ان اشاعة العلمانية في عموم المجتمع تجعله اكثر انفلاتا من الناحية الاخلاقية.					
١٥	اجد ان العلمانية نظاما سياسيا يعمد الى فصل السياسة عن الدين.					
١٦	ارى ان العلمانية تأخذ بتوجهات الحياة الغربية فقط ولا تأخذ بالخصوصية الثقافية.					
١٧	اجد ان التوجهات العلمانية تعمد الى المساواة بين الرجل والمرأة.					
١٨	ارى ان العلمانية نظام لا يحافظ على كيان الاسرة في مجتمعنا.					

Attitudes of Iraqi towards secularism concept

Prof. Dr. mahmood shamal Hassan

Abstract:

The research aimed to reveal the nature of the Iraqi's attitudes towards secularism concept ,the differences in these attitudes according to the Variables of gender ,age group ,and socio - economic level .To achieve these goals ,The researcher intended to built prepared scale for this purpose.

The current research sample was dram asimple random method ,as it research (800) individuals of both gender ,whoseage ranged between15) (70 -years ,with an everage of (35,59) years .The results showed ,that the attitndes formed to wards secularism concept ,are negative ,the individuals of the high socio - economic level have more negative attitudes than their peers at otother levels.

The gender and age group didnot have clear effect on the attitudes formed to wards secularism concept.

Keywords :Attitudes ,secularism ,gender ,age group ,socio – economic level ,Iraqi society.